

النظرية الفلسفية للمعرفة Epistemology

أ.د. محمد عزت سعد محمود
أستاذ التصميم الصناعي المتفرغ بقسم التصميم الصناعي
كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان

Prof_ezzatsaad@hotmail.com

July 2013

تمهيد:

ظلت الفلسفة Philosophy علم العلوم حتى بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة فكان موضوعها يشمل كل المعارف الإنسانية وكانت المعارف كلها تستخدم المنهج الفلسفي , ولكن بازدياد تقدم العقل البشري واكتشاف المنهج التجريبي وانتشار مبدأ التخصص انفصلت اغلب العلوم عن الفلسفة ولم يتبق لها إلا ثلاثة مباحث رئيسية وبعض المباحث الفرعية التي تتسم بالطابع الكلي المجرد.

المباحث الرئيسية للفلسفة:

تدرس الفلسفة ثلاث موضوعات رئيسية تتناسب مع طبيعة الفلسفة العقلية المجردة ومنهجها التأملى الأستقرائى هى:

- **مبحث الوجود (الانطولوجيا Ontology).**
- **مبحث المعرفة (الابستمولوجيا Epistemology).**
- **مبحث القيم (الاكسيولوجيا Axiology).**

- **مبحث الوجود (الانطولوجيا) :** يدرس الوجود ككل ويحاول الكشف عن القوانين الكلية العامة التي تفسره يطلق عليه اسم الميتافيزيقيا metaphysics أو علم ما وراء الطبيعة، من أمثلة موضوعاته محاولة اكتشاف قوانين المادة والحركة في الوجود كله ومدى عشوائيتها أو انتظامها وعلاقتها بالله والأصل الذي تكونت منه ... الخ .
- **مبحث المعرفة (الابستمولوجيا) :** يعرف بنظرية المعرفة knowledge theory ويدرس طبيعة وإمكانية ووسائل المعرفة الإنسانية عن الوجود. ولذلك فهو يرتبط بمبحث الوجود، من أمثلة موضوعاته دراسة المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها وهل هي كلية أم جزئية ظنية أم يقينية ؟ كما يهتم بالموازنة بين الحواس والعقل والحدس كوسائل للمعرفة ومدى دقة كل منها.
- **مبحث القيم (الاكسيولوجيا) :** يدرس المثل العليا والقيم المطلقة التي يسعى الجميع لتحقيقها في حياتهم. وهناك ثلاثة قيم أساسية هى:
قيمة الحق: ويدرسها علم المنطق logic الذي يضع لنا قواعد التفكير السليم.
قيمة الخير: ويدرسها علم الأخلاق ethics الذي يوضح لنا قواعد السلوك الأخلاقي .
قيمة الجمال: ويدرسها علم الجمال aesthetics الذي يوضح لنا معايير الجمال.

مقدمة:

إن الأشكالات المرتبطة بالمعرفة knowledge هي من صلب اهتمام الفيلسوف، وتشكل بجانب الاشكالات الانطولوجية الميتافيزيقية، الإشكالات الاكسيولوجية القيمة الفكرية الأساسية التي انصببت عليها معاول التفكير الفلسفي، وفلحت تربتها اسئلة الباحث عن جذور الأفكار، والمقلبة لأوجهها المتعددة في أفق الكشف عن درجات الصحة أو اليقين التي تمثلها.

الانسان ككائن عاقل، قد مكنه عقله من القدرة علي إنتاج مجموعة من الافكار والمعارف، حيث أهتم العقل الفلسفي بهذه القدرة بالذات التي يتميز بها الكائن البشري عن عموم الموجودات الطبيعية الأخرى، وطرح حولها العديد من الاسئلة التي تكون في ترابطها وتداخلها الاشكالية المعرفية التي نحن بصدد تناولها والبحث فيها. ومن أهم تلك الأسئلة التي تشكل الفضاء الاشكالي المتعلق بمجال المعرفة، نذكر تلك المتعلقة بإمكان المعرفة ومصدرها وحدودها ووظيفتها؟ وقد تميز تاريخ الفلسفة بظهور عدة مذاهب وإتجاهات جسدت مواقف متعددة، وقدمت اجابات مختلفة - متشابهة أحيانا ومتعارضة أحيانا آخري بصدد تلك الاشكالات المعرفية.

مفهوم النظرية theory concept:

النظر insight هو التفكير والتأمل speculation الذي يصدر من النفس الإنسانية في الأمور المعلومة للحصول منها او غيرها علي الأمور المجهولة، وبالتالي يمكن تعريف النظرية بأنها (مقدمات فكرية وعقلية باتباعها وإعمال قواعدها نحصل علي نتائج ومعارف مستنبطة من تلك المقدمات) والنظرية هي (مجموعة من المفاهيم

والتعريفات والمقترحات المترابطة التي تمثل نظرة منظمة للظواهر، وذلك بتحديد العلاقات بين المتغيرات بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ بها). وللنظرية تعريفات أخرى كثيرة، كلها تدور حول أنها معارف وعلوم أخذت شكل القواعد العلمية المتفق عليها والتي يستعان بها في وضع النظم وحلول المشكلات. وتنقسم النظرية إلى نظرية فلسفية theory(ies) ونظرية علمية theorem(s). وعمومًا النظرية الفلسفية theory هي تصور فلسفي philosophic concept يقوم على إدعاء assumption أو فرض ظني متفق عليه tentative hypothesis؛ بينما النظرية العلمية theorem تصور علمي scientific concept يقوم على فرض ظني guessed hypothesis، وذلك بغرض الربط بين عدة ظواهر phenomena أو قوانين laws بعضها ببعض، وردها إلى مبدأ واحد، يُستنبط deduct (فيما يتعلق بالنظرية العلمية)؛ أو يُستقراء induct (فيما يتعلق بالنظرية الفلسفية) من هذا المبدأ أحكام وقواعد، تتسم بالعمومية، وتنظم علما أو فرعًا معرفيًا، وتقدم منهجا للبحث والتفسير، وتربط النتائج بالمبادئ.

خصائص النظرية:

- تفسير الحقائق التي نلاحظها، مع شرح حدوث الظاهرة موضوع النظرية في أبسط صورة -بعيدًا عن التعقد اللفظي- فتصفها وتؤسسها وتقنها، وتحكمها وتهيمن عليها؛ في مرحلة زمنية معينة بحيث تكون متجانسة مع الحقائق التي نلاحظها ومع المعرفة القائمة حاليًا.
- يجب ان تنطوي علي وسائل التحقق منها، وإقامة الأدلة على صدقها، وإمكانية تطبيقها. وتصمد أمام كل النظريات الأخرى القائمة (إن وجدت)، وتكون شارحة أكثر من غيرها
- يجب ان تؤدي النظرية الي اكتشاف جديد وتشير الي مجالات اخري في حاجة للبحث، ويتم ذلك من خلال استقراء النظرية والحصول منها علي احكاما وقواعد تحقق الهدف من وضع النظرية. "النظرية بدون ممارسة هباء. والممارسة بدون نظرية عما"

أو كما يقول جيران خليل جيران:

"كل حافر ضرير إذا لم يقترن بالمعرفة

وكل معرفة هباء إذا لم تقترن بالعمل"

النظرية الفلسفية للمعرفة Epistemology:

ويمثلها مبحث المعرفة epistemology ومصطلح epistemology مؤلف من جمع لفظين : episteme بمعنى معرفة knowledge و ology بمعنى فرع معرفة غير مقنن unidentified branch of knowledge وعلى ذلك فمبحث المعرفة (النظرية الفلسفية للمعرفة) أحد فروع الفلسفة الذي يدرس الموضوعات المرتبطة بتقنين المعرفة identifying knowledge. يختص هذا المبحث بدراسة الاحساس والادراك والتذكر والتخيل والانتباه والتفكير ويهتم كذلك بدراسة وسائل المعرفة والموازنة بين الحواس والعقل والحدس مع بيان طبيعة كل منها وحدودها وأيها أكثر دقة ولا جدال في ان مبحث المعرفة له اهميته وخطورته وان تعددت فيه الآراء واختلفت وجهات النظر.

ومن هنا نجد ان الابستمولوجي تنقسم الي:

- الفلسفة الوضعية positivism وهي فلسفة تعتمد علي الأرقام لأن الأرقام لا تكذب بنظرهم.
 - الفلسفة النظرية interpretivism وهي فلسفه تعتمد علي الشرح.
 - الفلسفة الواقعية realism وهي فلسفة تقع بين الفلسفة الوضعية والتفسيرية
- لاشك أن كل منا في اشتياق لمعرفة المزيد عن الوجود من حولنا واكتشاف أسرارهِ ومعرفة الحقائق الكامنة لذا فان لنظرية المعرفة أهمية كبيرة لادراك الوجود من حولنا. وهو يدرس المعرفة الانسانية عامة من حيث طبيعتها وهل يمكن ان تكون المعرفة كاملة وشاملة لكل حقائق الوجود؟ أم هي مقصورة علي ما يظهر لنا فقط من هذا الوجود دون الباطن الخفي فيه؟ وهل نستطيع التوصل الي حقائق يقينيه؟ أم ان معارفنا قابلة للشك؟ وهل المعرفة كلها احتماليه؟ وهل معرفة العالم مستحيلة؟. يوجز الفلاسفه موضوعات المعرفة في ثلاثة اسئلة هي:-
- هل يمكننا الوصول الي تعريف مقنع لمفهوم للمعرفة (مقنن) ؟
 - ما هي القضايا التي نقول عنها انها صادقة؟
 - ما الاسس التي يقوم عليها صدق هذه القضايا؟

لبحث نظرية المعرفة لا بد أن نبحث ثلاث نقاط اساسية:

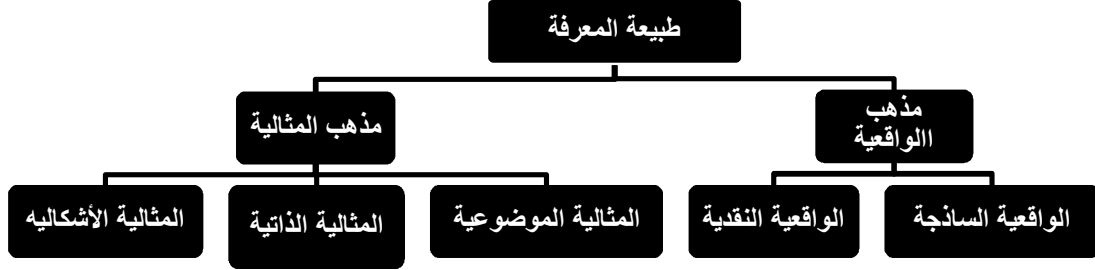
أولاً: طبيعة المعرفة

ثانياً: مسالك المعرفة ومنابعها

ثالثاً: امكانية المعرفة وحدودها

أولاً: طبيعة المعرفة

تهتم نظرية المعرفة أولاً بالبحث في طبيعة المعرفة الإنسانية ومعنى ذلك ان نسأل عن تعريف المعرفة وما يميز المعرفة عن غيرها من نشاطات العقل الانساني وما اذا كانت هذه المعرفة يجب ان تتصف دائماً بالصدق واليقين ام ان هناك ما يسمى معرفة كاذبه أو احتمالية؛ تنقسم المذاهب في هذا الصدد الي:-



1- مذهب الواقعية:

الفلسفة الواقعية هي اتجاه في طبيعة المعرفة يري ان الوجود الحقيقي مرتبط بالواقع وماعده لا يكون حقيقياً الا بقدر ما يتم إدراكه بالعقل.

○ الواقعية الساذجة

يعتمد الواقعيون في الواقعية الساذجة علي التسليم المطلق بالحس والحواس وان معرفة الاشياء مرتبطة بالواقع الخارجي.

○ الواقعية النقدية

إن المعرفة عند الواقعية النقدية ليست ادراك صورة مطابقة للاشياء الخارجية بل ادراك صورة معدلة بفعل العقل الذي يمكن له ايضا ان يتجاوز الجزئيات والمحسوسات الي الكليات.

2- مذهب المثالية:

الفلسفة المثالية هي اتجاه في طبيعة المعرفة يقابل الواقعية وتري المثالية ان الفكر هو الوجود الحقيقي وماعده لا يكون حقيقياً الا بقدر ما يتحول الي تصورات ذهنيه وافكار.

○ المثالية الموضوعية:

نجد صورة من المثالية الموضوعية عند أفلاطون فالمعرفة عنده ترجع الي العقل والمثالية الموضوعية تري ان العقل المدرك يلزم موضوع الادراك ولا يؤثر فيه بل ان الموضوع هو الذي يؤثر فيه.

○ المثالية الذاتية:

تري ان الوجود يرجع الي الادراك، من ناحية، وإن وجود الاشياء معناه أننا ندركها والشئ ليس له وجود مادي إلا عند ادراكنا له، من ناحية أخرى.

○ المثالية الأشكالية:

يري "ديكارت" انه لا يوجد من يقين الا في قضية أنا موجود ، أننا عاجزون عن ان نثبت بالتجربة مباشرة وجود خارج وجودنا في مثالية معقولة.

ثانياً: مسالك المعرفة ومنابعها

تتساءل نظرية المعرفة ثانياً عن مصادر المعرفة أو طريقه اكتسابنا لها وقد نقول ان أبسط وسيله لاكتساب المعرفة هو الإدراك الحسي ولكن هناك أيضاً وسائل أخرى. تختلف المذاهب الفلسفية من حيث اعتداد كلا منها بالطرق الموصلة الي المعرفة فبعضها يري ان المعرفة مصدرها الاحساس والبعض يري انه العقل والحس.

صنف الفلاسفة مسالك المعرفة ومنابعها ، بمعنى آخر السبل التي يمكن من خلالها إستنباط المعرفة من منابعها، الي ثلاثة مذاهب فلسفية هي:

- المذهب الحسي
- المذهب العقلي
- المذهب النقدي

• المذهب الحسي

يري أصحاب المذهب الحسي ان كل معرفة انما ترجع إلي الأحساس وأنكر الحسيون دعوي العقليين القائلين بالافكار والبيدهات والمبادئ الاولية وقد غالي بعض اتباع النزعة الحسية وانكروا وجود العقل واسرفوا في تقدير الحس الخالص واعتباره مصدر للمعرفة وقد ترتب علي ذلك رفض المبادئ العقلية كلية والنظر الي الاحكام العقلية علي انها تتغير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف الظروف والاحوال. والواقع ان رد المعرفة الي الاحساس وحده دون العقل ليس جدسدا في تاريخ الفلسفه ولكنه ظهر حديثا عند أصحاب المذهب الحسي الذين اعتبروا ان الحواس هي النبع الذي عنه تؤخذ المعرفة.

• المذهب العقلي

يذهب العقليون الي ان العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة التي تطبع بطابع الضرورية التي تتميز بها المعرفة العقلية فانها ضرورة عقلية توجب صدق القضايا والاحكام كما هو الحال في قوانين الرياضه والبيدهيات، واما اتصاف احكام المعرفة العقلية ب(الكليه) فان ذلك يعني صدق الاحكام في كل زمان ومكان وعدم تغيرها بتغير الظروف والاحوال ويتفق العقليون علي ان العقل قوة فطرية توجد عند جميع الناس بل هو اعدل الاشياء قيمة بين البشر كما يقول ديكارت ولهذا كانت المبادئ واحده عند جميع الناس. فالعقل اذن هو المصدر اليقيني اما الاحساس فانه يمدنا بمعلومات مبعثره لا ارتباط بينها ومن ثم فانها تؤدي الي معرفة ظنية واحتمالية لا ترقى الي مرتبه اليقين.

• المذهب النقدي

اما اصحاب المذهب النقدي فهم اصحاب وجهه النظر السلسلة ويرجعون المعرفة الي الحس والعقل معا ويرى كانط ان المصدر الاول للمعرفة هو الاحساس ولكن هذا الاحساس انما يرجع الي القوة الفكرية الاولي وهي من قوي الادراك وتطبيق صيغتي الزمان والمكان

ثالثا: امكانية المعرفة وحدودها

تبحث نظرية المعرفة ثالثا في مجال معرفتنا وتحدده بعالمين هما العالم المحسوس او العالم الفيزيائي وعالم حياتنا العقلية. وتتناول نظرية المعرفة موضوعا مهما وهو مدي امكانية وصول الانسان معرفة موضوعية. صحة المعرفة أو امكانية المعرفة حيث تدرس مشكلة المعرفة بين الشك واليقين فنجد أصحاب اليقين يرون ان كل معرفة سواء كانت عقلية أم حسية هي صادقة علي الاطلاق وليس هناك ما يدعو اي اختبار لصحتها. اما التقديرون من أصحاب مذهب اليقين يرون ضرورة تعيين حدود المعرفة الانسانية اما المنكرون لقيام المعرفة فهم معارضون لاصحاب مذهب اليقين.

وتحدد معرفتنا أيضا بأننا محاطون بعوالم غامضة عوالم لا نراها بالعين المجردة بسبب حجمها. عوالم لا يمكن رؤيتها، اما لانها كبيرة للغاية Macro او لانها صغيرة للغاية Micro.. ولكن حاليا اصبح بإمكاننا رؤية هذه العوالم.

ما الذي احدث هذا التغير في ادراكنا الحسى ... انها التكنولوجيا التي ساهمت في توسيع اطار حواسنا الطبيعية وحملتنا في رحلة فريدة من عالمنا الخاص الي عوالم غريبة متوازية نزولا الي اصغر العناصر في الخلق وصعودا الي اكبرها. كما قال " البرت اينشتاين "

(من الممكن ان نجد خلف ادراكنا الحسى عوالم خفية لسنا على علم بوجودها)

رابعا: أنواع المعرفة وتصنيفاتها

تتعدد أصناف المعرفة من معرفة علمية الي معرفة شاملة الي معرفة فردية طبقا لمجال الاستخدام للمعرفة، ويعيدا عن مجال الاستخدام فإن المعرفة لها نوعان أساسيان يتفاعلا مع بعضهما البعض ولا يخلو أي صنف من أصناف المعرفة منهما معا بنسب مختلفة وهما:

1- المعرفة الظاهرة (الصریحة) Explicit Knowledge:

والتي تتجسد بشكل مادي وتتعلق بالمعرفة الموجودة والمخزنة والتي يمكن إسترجاعها والتعبير عنها، سواء في الذاكرة البعيدة والقريبة للإنسان أو في أرشيف منظم على شكل : كتب وتقارير وأبحاث ودراسات وما يمكن تخزينه من مختلف وتنوع وتعدد ألوان المعرفة في أجهزة الحاسب أو أجهزة أخرى للتوثيق والتخزين. وعليه يمكن الوصول إليها واستخدامها والاستفادة منها فيما هو مناسب من خلال الندوات واللقاءات والمستندات وغيرها من الوسائل المتاحة.

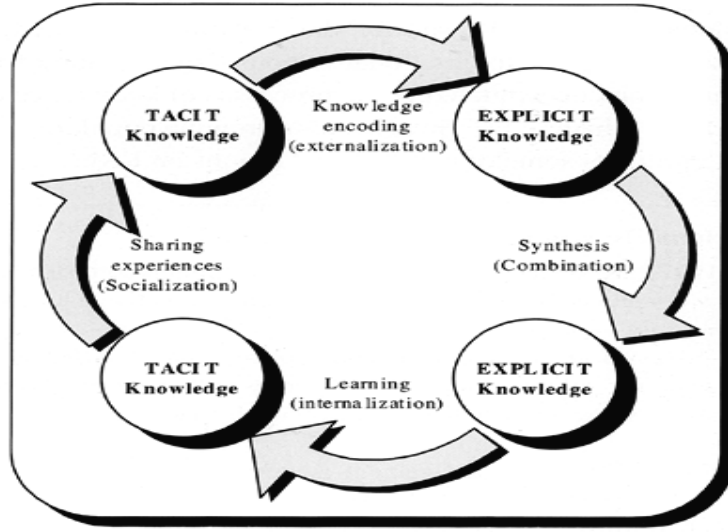
2- المعرفة الضمنية Tacit Knowledge:

وهي المعرفة التي تكون متضمنة في أشخاص من تتوفر لديه هذه المعرفة والتي تختزنها عقولهم وما تحتويه هذه العقول من معارف وأفكار لا تنفصل عنهم، أو هي تلك المهارات التي تتواجد داخل كل عقل وقلب كل فرد والتي من غير السهل نقلها أو تحويلها للآخرين. وقد تكون تلك المعرفة فنية أو إدراكية وهي المعرفة الموجودة في

عقول الأفراد والمكتسبة من خلال تراكم خبرات سابقة وغالبا ما تكون ذات طابع شخصي لكونها مختزنة داخل عقل صاحب المعرفة.

هناك تفاعل بين كل من المعرفة الصريحة explicit والضمنية tacit حيث أن المعرفة الإنسانية يتم إنشاؤها ونشرها من خلال التفاعل الاجتماعي بين كل من صنفى المعرفة ويطلق على هذا الشكل من التفاعل تحويل المعرفة knowledge transfer داخل المجتمع بواسطة أفراد. ويمكن التعبير عن تلك وفقا للأنماط الآتية:

- النمط الجمعي socialization : من ضمنية إلى ضمنية.
- النمط التجسدي externalization: من ضمنية إلى صريحة.
- النمط المزجى combination: من صريحة إلى صريحة.
- النمط الدمجى internalization: من صريحة إلى ضمنية.



العلاقة التفاعلية بين نوعى المعرفة